

الحديث الثاني في مجلة المستقبل - باريس

بتاريخ 25 يوليو/تموز 1981

من المحيط إلى الخليج

موضوع
السلامة

صدام حسين للمستقبل!

**لو كنا مكان العرب
عندما وقعت الغارة لفعّلنا أكثر مما فعلوا**

كنا نتمنى ان لا تقع الحرب مع ايران

سنتشاور مع العرب حول علاقاتنا... مع فرنسا

بمقتضى شيخ الإسلام

لا بد لهذا الحديث من مقدمة صغيرة والسبب: إن ما سيرد لم يكن ضمن الحديث مع صدام حسين، وإنما نتيجة لقاءات عديدة مع مسؤولين وقياديين في العاصمة العراقية. والمقدمة الصغيرة تتلخص في ملاحظتين:

الملاحظة الأولى - إذا لم يحدث بعد 24 يوليو/تموز 1981 حسم للوضع الداخلي في إيران وتقوم سلطة قادرة على إتخاذ القرار فإن العراق قد يرفع من حدة المواجهة العسكرية.

وتجدر الإشارة إلى أنه يُفترض أن يتم في 24 يوليو إنتخاب رئيس للجمهورية في إيران يخلف الرئيس أبو الحسن بني صدر أو يُقَدِّم جماعة بني صدر على خطوات لمصلحة «الرئيس الغائب».

الملاحظة الثانية - إن خطط العراق الموضوعية بدءاً من مشاريع الطرقات وإنهاءً بالمشروع الطموح لإمتلاك القدرة النووية لا تحتل أي تلوّك ولا حتى إعادة نظر. ومن أجل ذلك فإن لقاء المصارحة العراقي - الفرنسي سيتم خلال فترة أقصاها شهر وفي باريس. وقد يجوز الإفتراض أنه سيكون اللقاء الحاسم، خصوصاً أن العراق كان قبل فترة من سقوط فاليري جيسكار ديستان بدأ يرسم ملامح البديل في حال أن جمهورية فرنسوا ميتران ستعيد النظر في أساس العلاقات التي كانت مريحة ومربحة للطرفين على مدى سنوات.

وقد يجوز القول إن ملامح البديل إكتملت مع سقوط جيسكار ديستان، لكن هنالك الكثير من الحرص على أن تعطي فرنسا بعض الوقت لتحسم الأمر وتقرر. وبعد ضرب المفاعل النووي من جانب إسرائيل بات حسم القرار الفرنسي مسألة مُلحة.

في مكتبه في القصر الجمهوري أجريثُ هذا الحديث مع الرئيس صدام حسين. وبدأ لي من مقدمات الحديث التي سبقت طرّح بعض الأسئلة المحددة أن الإنتصارات التي تحققت في الحرب لم تُغيّر من قناعاته التي تبلورت في

السنتين الماضيتين حول ضرورة إعتاد المرونة المتأهية في معالجة الوضع العربي الراهن.

بدأت الحديث بالسؤال الآتي:

قلت: هل كان لا مفر من الحرب؟

- أجاب: في مؤتمر الطائف قَدَمنا بالأدلة والوقائع أسباب النزاع العراقي - الإيراني وكيف أن الجانب الإيراني إستمر يُصعد الأمور وبالشكل الذي أشعل فيه لهيب الحرب. ذلك واضح ومعروف. أما إذا كان يُراد من السؤال أن يُفهم بأن الذي قام بالحرب هو العراق وليس إيران، فالأجدر أن يوجّه مثل هذا السؤال إلى إيران، ويتم سؤالها عن الموجب لإقدامها على الحرب.

لقد بدأت إيران الحرب علينا يوم 4 أيلول/سبتمبر 1980 عندما قصف الإيرانيون مدناً عراقية (زرباطية وخانقين ومندلي ونفط خانه) وقاموا بإغلاق شط العرب الذي هو منفذنا المائي الوحيد، وقصفوا البواخر الراسية فيه أو المارة عبره، وكانوا قصفوا المنشآت النفطية ومدينة البصرة.

وعلى هذا الأساس فإن ردنا الواسع عليهم يوم 22 أيلول إنما كان رداً على هجوم وقع علينا، وهو أمر كان لا بد منه لإبعاد الجيش الإيراني وجعله بعيداً عن المحاور الداخلية بما يجعل الحرب تدور داخل إيران وليس على أرض العراق التي أرادوا أن تقوم الحرب عليها وأن يكون الجيش الإيراني على ترابها المقدس.

قلت: ما هو تصوركم لطبيعة الموقف في المنطقة لو أن الحرب العراقية - الإيرانية لم تحدث؟

- الموقف في المنطقة له جوانب كثيرة. ما هو الجانب الذي تقصده؟

قلت: هل إن الحرب حالت مثلاً دون حدوث أمور معينة؟

- أجاب: كان واضحاً للعرب أن لإيران أطماعاً توسعية في المنطقة. وإذا فإن رد العراق للهجوم الإيراني، صدّ أطماع إيران عن العراق ووضعها أمام حقائق جديدة، كان لا بد أن تستنتجها قبل قيامها بالحرب، لكن يبدو أنها لم تستطع إدراكها إلا بعدما قامت بالحرب. ومع ذلك فما يزال التصرف الإيراني بعيداً عن منطق العقل. فعلى رغم وضوح الحقائق التي تُظهر قوة العراق ومقدرته العالية وإندحار إيران وهزيمتها... على رغم ذلك يعلن الإيرانيون أن هدفهم هو إسقاط نظام صدام حسين، ويستمر تصرّفهم بالإتجاه نفسه في الجزيرة والخليج، علماً بأن الجيش العراقي يقاتل داخل أراضيهم..

قلت: عندما إتخذتم قرار الحرب هل أوردتم في حسابكم احتمال حدوث هزيمة في الجانب العراقي؟

- أجاب: شعب العراق العظيم هو سندنا. وتأييد هذا الشعب ليس محصوراً في مكان واحد. وبسبب هذا الشعور لم يرد في بالي أننا سنهزم أمام إيران. الذي ورد في بالي هو أننا لا بد سننتصر على رغم أننا في الأصل كنا نتمنى ألا تقع الحرب. وكان أمر الشعور بالنصر واضحاً من خلال ردي على بني صدر الذي قال في خطاب ألقاه في نيسان (أبريل) 1980 وهدد فيه العراقيين، أن الجيش الإيراني إذا تقدّم إلى حدود إيران الغربية فإن أحداً لا يستطيع إيقاف زحفه إلى بغداد. وفي ردي قلت لبني صدر بأنه لا أنت ولا غيرك يستطيع أن يدخل أرض العراق إلا إذا قُتل جميع العراقيين. وأنا أعرف العراقيين جيداً. إنهم عراقيون وعرب. والمسألة المذهبية لا تجعلهم يلتقون مع الأجنبي على حساب وطنهم.

إن الثانويات لا تطغى عند العراقيين على حساب الأساسيات لأننا لسنا في مرحلة تدهور أو في ظروف انحطاط. بلدنا ليس في مرحلة تراجع أو تخلف وإنما هو في مرحلة إعتزاز ونهوض. لذلك فإن ولاء المواطن عندنا لا يضيع في الأطر الضيقة ولا يغرق في الثانويات لأن فهمه للأمور ينصبُّ على إدراكه لحقيقة إنتمائه الوطني والقومي وتقديره للأساسيات التي يجب أن تكون فوق الأمور الثانوية.

قلت: وهل تأخذون في الحساب احتمال حدوث تطورات في إيران تقود إلى إحدى حالتين: إما بونابرتية من

العسكريين تساندهم الولايات المتحدة، وإما حكم شيوعي يحظى بحماية فعالة من الإتحاد السوفياتي؟

- أجب: كل الإحتمالات واردة، وكل من هذه الإحتمالات له نسبة من النجاح. وبالنسبة إلينا، فإن الذي يزعجنا هو مجيء النظام المناهض المعادي للعراق والأمة العربية. عدا ذلك فإن أي نظام تنتهي إليه الحال في إيران سننظر إليه على أنه مسألة داخلية تخص الشعوب الإيرانية سواء كان هذا النظام موالياً للولايات المتحدة أو للإتحاد السوفياتي. إن أنظمة كثيرة من هذا النوع موجودة في العالم ونتعامل معها، وإذا كان لنا أن نتمنى فإن ما نتمناه هو قيام نظام وطني حر مستقل صديق للعراق وللعرب. نظام غير معادٍ يعترف بحقوقنا الوطنية والقومية وينتهي حالة الحرب.

قلت: في الإطار نفسه هل يجوز الإفتراض أن إختفاء الرئيس أبو الحسن بني صدر يأتي في سياق سيناريو يكون الفصل الأخير فيه عودة الرجل إلى الحُكم بمساندة العسكريين؟

- أجب: أكرر القول إن باب الإحتمالات مفتوح. وبما أن أوضاع إيران متحركة فإنني لا أستطيع الجزم حول الإفتراض الذي أوردته عن بني صدر.

قلت: منذ فترة ليست بالقصيرة وأنت تكافئ بعض المقاتلين والطيارين بينما الحرب متواصلة. ويبث التلفزيون صوراً حية للمناسبة التي يتم فيها التكريم وتنتشر الصحف الصور. هل معنى ذلك أن الحرب قاربت على الإنتهاء وأنه لا بد من البدء بتكريم المقاتلين أصحاب الأدوار الجيدة، على أساس أن الحرب طويلة ولا بد من عملية شحذ للهمم من وقت إلى آخر. أم أن هؤلاء قاموا بعمليات لا يحتمل تكريمهم وترقيتهم عليها التأجيل؟ أقول ذلك على أساس أن تكريم المقاتلين يبدأ مع نهايات الحرب؟

- أجب: موضوع التكريم بدأ في الشهر الثاني أو الشهر الثالث لقيام الحرب. ولقد ناقشنا ذلك في القيادة العامة. كان أمامنا سؤال خلاصته هل نبدأ بتكريم المقاتلين أم ننتظر إلى أن تنتهي الحرب. وكان رأيي أن الرجال يجب أن يأخذوا حقوقهم وألاً ندع الزمن يمر، وألاً يتكرر ما حدث عام 1974 في الحرب التي خاضها جيشنا على مدى اثني عشر شهراً ضد التدخل الإيراني المتستر خلف تمرد الملا مصطفى البرزاني. في حينه إنتظرنا أن تنتهي الحرب لكي نبدأ تكريم المقاتلين لكن الإنتظار فوّت فرصاً كثيرة على رجال كانوا يستحقون التكريم وحرّم آخرين، فضلاً عن أن الإنتظار جعل النظر إلى التكريم لا يأخذ حالته الحية.

في المناقشة التي تمت في القيادة العامة قلت إنني أرى أن نباشر بتكريم المقاتلين. وقد إعتدنا ذلك وأوكلنا جزءاً من صلاحياتنا إلى القيادات الميدانية لكي تكرم في مواقعها ما تراه من حالات وترفع إلينا الحالات الأخرى التي لا يقع التكريم في نطاق الصلاحيات المخوّلة لها مع إرفاق ذلك بالتفاصيل التي تؤكد بسالة المقاتل.

قلت: أنت الرئيس المقبل لحركة عدم الإنحياز وهذا يرتب عليكم صيغة تعامل معدلة مع القوى الكبرى ومع الأحداث، على أساس أنكم تتطلعون إلى دور فعال لحركة عدم الإنحياز تعيد إلى الأذهان دورها في الستينات. والقصد من هذا القول هو معرفة ما إذا كانت القمة المقبلة لدول عدم الإنحياز ستعقد في بغداد بينما العلاقات بينكم وبين الولايات المتحدة مقطوعة، يقابل ذلك علاقات مع الإتحاد السوفياتي بدأت تشهد شيئاً من الجودة مع دخول الحرب شهرها العاشر.

- أجب: على رغم أننا لا نُسقط من الحساب أن الولايات المتحدة هي إحدى الدولتين العظيمين إلا أن الذي نركز عليه في الدرجة الأساس هو أن نكون أمناء على مبادئ حركة عدم الإنحياز التي لا تنتمي إليها الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي. وهذا ما سنؤكد في القمة السابعة لدول عدم الإنحياز التي ستعقد في بغداد. بإستثناء إيران فإن جميع دول حركة عدم الإنحياز تربطنا بها علاقات جيدة ويتسم تعاملنا معها بالود.

قلت: هل أنتم مطمئنون إلى أن فرنسا الإستراتيجية لن تُفَرِّط في العلاقات الممتازة التي بنتها فرنسا غير الإستراتيجية مع العراق؟

- أجب: أنا لا أريد أن أستيق الأمور وأعطي أحكاماً مسبقة. ولكنني أقول إن لفرنسا مصلحة في علاقاتها مع العراق وإن العراق له مصلحة في علاقاته مع فرنسا. وعلى أساس المصالح المتبادلة تطورت العلاقات بين البلدين. من هنا فإنه إذا حرصت فرنسا على تطوير العلاقة فسوف نحرض بدورنا عليها أيضاً، أما إذا إختارت غير ذلك فسيكون لنا خيارنا الذي نحدده، وسنتشاور مع العرب في هذا الخصوص.

قلت: في كل مرة تعرضون رغبتكم في وقف إطلاق النار وترفض إيران. لماذا؟

- أجب: هناك فرق بين أن نحتاج ذلك إنسانياً وبين أن نخشى الحرب. إننا لا نخاف من إستمرار القتال خشية من تطور الأمور إلى العكس. فنحن لا نزال في الجبهة وفي المواقع نفسها ونحن لا نخشى المستقبل. لقد سبق وقال الإيرانيون إنهم يحتاجون إلى شهر للقيام بهجوم كاسح على العراق. ومرة الأشهر ونحن الآن في الشهر العاشر والجيش العراقي لا يزال ثابتاً في مواقعه وقادراً على التحرك إلى الأمام إذا أردنا ذلك. وبعد هذه المدة نرى أننا في صعود دائم بينما إيران تتدهور وتتخبط، هذا على رغم أننا في الأساس كنا نتمنى لو أن الحرب لم تقع، أي لو لم تقم إيران بشن الهجوم علينا.

نحن نحترم شعبنا ونهتم به، وهم لا يقيمون لشعبهم أي إهتمام. الشهيد عندنا خسارة لإنسان عراقي لا يعوّضه مليون قتيل. نحن نحرض على العراقيين ولكن نقل التضحية عندما تكون الخيار الوحيد الذي يقود إلى مجد العراقيين وعزهم ويحفظ كرامتهم. نحن نريد وقف إطلاق النار ونتمنى أن تنتهي الحرب دون أن يعني ذلك التنازل عن حقوقنا أو التفريط بها.

قلت: هل هي الحقوق التاريخية فقط أم الحقوق التي أضافتها الحرب كما سبق أن أشرت مرة؟

- أجب: نحن نطالب بحقوقنا الأساسية، لكن إستمرار إيران بالحرب يضيف لنا حقاً آخر تُرتبّه دماء الشهداء وإستمرار التضحيات.

قلت: هل أنتم مطمئنون من أنه لم تنشأ لدى العراقيين مشاعر إقليمية لأن العرب لم يُهَيَّبوا ويقفوا إلى جانبهم في الحرب؟

- أجب: أنا لا أنفي وجود بعض المرارة في نفوس العراقيين على رغم أننا لم نكشف بالتوعية عن عورات الواقع العربي، إلا أن العراقيين قادرين على أن يتفقدوا ببصيرتهم إلى بعض الأمور التي سببت لهم هذه المرارة. لكن الأمر لم يصل إلى حد التعالي، فرسالتهم هي خدمة العرب وأن يحبوا الأمة سواء كانت ممزقة الشياب أو مكتسية، في حالة نهوض أو عندما يناضلون لرفع رأسها عندما تكون في حالة ركوع، يحبونها عندما تكون تابعة وعندما تكون متحررة، بفعلهم أو بفعل غيرهم، أو بفعلينهما معاً...

قلت: صادف أنه مع اليوم الأول لشهر رمضان بدأ اليوم الأول من الشهر الحادي عشر للحرب. ولقد كان ملاحظاً أنه على رغم إستمرار الحرب حرصت على أن تشارك في ندوة موسعة خاصة بمناقشة ورقة عمل قطاع التربية والتعليم العالي. هل أن المشكلة في قطاع التربية والتعليم حادة إلى الدرجة التي يصعب تأجيل البحث فيها إلى ما بعد إنتهاء الحرب؟

- أجب: كيف تفهم النجاح في الحرب؟ هل هو مجرد إعداد عسكري، أم هو إعداد إنساني متكامل متوازن الحركة في كل الميادين السياسية والإقتصادية في الجيش وفي القطاع المدني وفي العمال والفلاحين وفي الطلبة والأطفال؟

نحن نعتبر أن أسباب النجاح في الحرب هي لأننا نجحنا في قيادة الحياة وإملاك ناصيتها بما يعكس هذا الدور القيادي في عقلية العراقيين وضمايرهم وعلى تطلعهم للمستقبل وعلى ما يصبون إليه وما تحقق. فالتربية قيمتها معروفة ولذلك فلا يجوز تأجيل حالة واجبة إلى أشهر أخرى قد تستمر الحرب فيها. من هنا إننا نناقش كل أعمالنا على رغم وجود حالة حرب.

التضامن المطلوب والغارة على المفاعل

قلت: بما إن حديث التضامن العربي مطروح في هذه الأيام فما هو التضامن الذي تريدهونه؟

- أجب: أي حد أدنى لا يحمل الذل والعار والتبعية والضعف وصولاً إلى حالة أرقى منه.

قلت: المعروف عنكم حرصكم الشديد على قاعدة الثواب والعقاب. هل أنه بسبب الحرب حدث تأجيل للأخذ بهذه القاعدة في موضوع الغارة الإسرائيلية(*) على المفاعل النووي وكيف أنه لم يتم إسقاط الطائرات المغيرة أو إسقاط إحداها؟

- أجب: نحن لسنا دولة كبرى وإنما دولة صغيرة تستورد السلاح من الخارج. لذلك لا يجوز التصوّر بأن كل مساحة العراق مغطاة برادارات. هناك أسبقية في هذا الميدان وعندما نكون في حالة حرب مع دولة لا يكون توزيع راداراتنا في الشرق وفي الغرب. وحتى مع وجودها في هذه الحالة لا يمكن أن نتصور أن سلاح الطيران لا يصل إلى هدفه ويأخذ غفلة ثمكته من ذلك. وهو يستطيع ذلك خصوصاً عندما تكون هناك خطة معدة سلفاً وطيارون مدربون لهذا الغرض. إن مثل هذا الأمر ليس مستغرب الحدوث لا تقنياً ولا إنسانياً. وهو متوقع.

قلت: في ضوء الذي حدث هل ستعتمدون على فنيين أجانب أم أن العلماء العراقيين وأخوتهم العرب على قدر من الكفاءة التقنية التي تحوّلهم العمل في مجال الطاقة النووية؟

- أجب: الإثنان معاً. نتعاون مع الأجانب حينما تتاح فرص التعاون. ونستخدم العراقيين بما يطور مقدرتنا في استخدام الذرة للأغراض السلمية.

قلت: هل إن ما ذكرته في مجلس الوزراء واضح لكل القادة العرب؟ وهل إن رد الفعل الذي صدر عنهم، كان في مستوى خطورة الإعتداء الذي جرى؟

- أجب: كلامنا غير معقد ومن يقرأه يفهمه لأنه لم يكن فلسفة وإنما كان حديثاً صريحاً. أم هل إن رد الفعل العربي كان في مستوى الغارة فإن ردي على ذلك هو أننا لا نطمح أن يقوم العرب، وهم في وضعهم الراهن، بأكثر مما قاموا به، إلا أننا لو كنا مكانهم لكنا فعلنا أكثر مما قاموا به.

قلت: وهل سيستمر الوضع العربي على ما هو عليه؟

- أجب: إذا تصوّرنا أن أمتنا حية فمعنى ذلك أنها تتحرك إلى الأمام. ونحن لدينا ثقة بأن العرب يتحركون

(*) في جلسة مجلس الوزراء العراقي المنعقدة بتاريخ 23 يونيو/حزيران 1981 ألقى الرئيس صدام حسين كلمة جاء فيها: «على العرب جميعاً أن يدركوا أنه حتى إذا أعترف العرب جميعاً بما يسمى بإسرائيل بحدود أمانة ضمن الأرض العربية المحتلة بكاملها الآن وأحترموا من طرفهم هذه الحالة والتزموا بها، أو فنلق رضخوا لها، فإن الكيان الصهيوني لن يقبل بهذه الحالة، ليس فقط في إستمرار التوسع في الأرض على حساب السيادة العربية. وإنما سيتدخل الكيان الصهيوني حتى في الطريق الذي يمتد في مكان ما من أرض السعودية ويطلب تغيير مساره بإعتباره حالة عسكرية أو بإعتباره حالة لا تقبل بها إسرائيل. سوف يفرضون على العرب أن يحذفوا من منهاج التدريس في الكليات وفي الثانويات تدريس الكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلك بإعتبارها علوماً قد تُفضي إلى تكوين خبرة بشرية في ميدان عسكري خطير على أمنها. وسيصل تدخل إسرائيل إلى حد طلب تغيير أمراء وإستبدالهم بأخرين وتغيير الرؤساء وإستبدالهم بأخرين وتغيير الوزراء وإستبدالهم بأخرين، وربما تصل طلبات الكيان الصهيوني إلى حد تغيير مدير مدرسة ابتدائية لأنه يربي الطلاب في مدرسته تربية وطنية وتربية قومية. وسيصل أن يطلبوا من العرب أن يعيدوا تاريخهم وأن يكتبوه بإتجاه جديد بما في ذلك تاريخ النبي محمد صلى الله عليه وسلم...».

في إستمرار نحو الأفضل. ولكن يراد الصبر كثيراً على العرب الرسميين. وإلى ذلك فإن تعاملنا معهم يجب ألا يكون على أساس ما في ذهننا وإنما على أساس الممكن على طريق الطموح. إن أي شيء أفضل من السيء هو جيد. لقد دخلت السياسة الدولية في الأجزاء العربية وبدأت تستغل الخصوصيات العربية وتحوّلها إلى عوامل تناقض وإستفزاز وتناحر وعلينا أن نصبر ونعمل كي تغدو حالة الأمة بصورة أفضل.